فوكو، كتابات و امتدادات

Foucault, writings and extensions

شاكر مخلوف*[1]، بوشيبة محمد[2]،

[1] شاكر مخلوف ، جامعة وهران 2، الجزائر، shaker .makhlouf@gmail.com

[2] بوشيبة محمد, جامعة وهران 2,الجزائر . bouchiba.univoran2@gmail

تاريخ الاستلام:2022/09/12 تاريخ القبول: 2022/11/07 تاريخ النشر: 2022/12/13

ملخص:

تعتبر فلسفة فوكو من أهم الفلسفات في الفكر الفلسفي المعاصر فهي فلسفة تهتم باليومي من خلال الحفر في ثنايا الواقع والولوج إلى صميمه ومحاولة تفكيكه، ومساءلته للوقائع التاريخية كان من أجل مساءلة المجتمع الحديث والمعاصر بمعارفه وسلطاته ومكوناته، ذلك أن الفلسفة حسبة هي تشخيص للراهن ، وقد كانت ممارسته الفلسفية محض نقد وتحليل ثقافي، لذا شهدت الفلسفة معه تنوعا كبيرا من حيث المواضيع التي تمت معالجتها، فنجدها تقتحم الجنون من أجل تحديد أسبابه ومعرفة طرق علاجه، ونجدها أيضا تحتضن مختلف المؤسسات العقابية منها كالسجن، والطبية كالعيادة والمستشفى.

وقد كان لفلسفته أثر بالغ في الفلسفة بصفة خاصة والعلوم الاجتماعية والانسانية عامة، فقد كان له حضور قوي بين معاصريه، وأثر كبير في الفلسفة الأمريكية وكذا الفكر العربي المعاصر، ويهدف هذا العمل إلى تبيان العناصر الأساسية التي ارتكزت عليها فلسفة فوكو، وأثر ها في الفكر الفلسفي.

كلمات مفتاحية: الجنون، المعرفة، السلطة، الأخلاق.

Abstract:

Foucault's philosophy is considered one of the most important philosophies in contemporary philosophical thought It is a philosophy that takes care of the daily by digging into the folds of reality and trying to dismantle it, and its questioning of historical facts was in order to question the modern and contemporary society with its knowledge, powers and components, That is because philosophy is a diagnosis of the present, and his philosophical

* المؤلف المرسل:: مخلوف شاكر، طالب دكتوراه، تخصص فلسفة، جامعة وهران2 shaker.makhlouf@gmail.com

practice was purely criticism and cultural analysis, so philosophy witnessed with him a great diversity in terms of the topics that were addressed, so we find it breaking into madness in order to determine its causes and know the ways to treat it, and we also find it embraces various punitive institutions, including prison, Medical, such as clinic and hospital. His philosophy had a profound impact on philosophy in particular and the social and human sciences in general, as he had a strong presence among his contemporaries, and a great impact on American philosophy as well as contemporary Arab thought.

Keywords: Madness, knowledge, power, morals.

1. مقدمة:

فلسفة فوكو هي فلسفة الاهتمام باليومي من خلال الحفر في ثنايا الواقع بكل تلبساته وهامشياته والولوج إلى صميمه ومحاولة تفكيكه، ومساءلته للوقائع التاريخية كان من أجل مساءلة المجتمع الحديث والمعاصر بمعارفه وسلطاته ومكوناته، ذلك أن الفلسفة حسبة هي تشخيص للراهن بكل تمثلاته، وقد كانت ممارسته الفلسفية محض نقد وتحليل ثقافي، لذا شهدت الفلسفة معه تنوعا كبيرا من حيث المواضيع التي تمت معالجتها، فنجدها تقتحم الجنون من أجل تحديد أسبابه ومعرفة طرق علاجه، ونجدها أيضا تحتضن مختلف المؤسسات العقابية منها كالسجن، والطبية كالعيادة والمستشفى، كما اهتمت فلسفة فوكو أيضا بالمعرفة والسلطة ، وكذا محاولة تحديد العلاقة بينهما، ليعطي في النهاية فوكو مفهوما جديدا على السلطة، كما اهتم في نهاية مسيرته الفلسفية بالأخلاق وذلك من خلال تاريخ الجنسانية، وقد كان لكتاباته أثر بالغ وكبير في الحقل الفلسفي سواء بين معاصريه في ذلك الوقت أو في وقتنا هذا، لذا نتساءل: ما هي كتابات فوكو الأساسية؟ وما مدى تأثير هذه الكتابات على المفكرين الذين جاؤا بعده؟

2. كتابات فوكو:

1.2 الجنون:

الجنون في العصر الكلاسيكي هو دراسة تاريخية، وكتاب فوكو هو مؤلف ذو نتائج فلسفية قيمية أخلاقية حول موقف العصر الكلاسيكي من الجنون الذي هو ظاهرة إنسانية، والعصر الكلاسيكي الذي يتحدث عنه فوكو في كتابه يقتصر على فترة تاريخية لا تزيد عن القرنين من الزمن، القرن السابع عشر والثامن عشر.

يتحدث فوكو في بداية كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" عن الجذام الذي اختفى فجأة، يقول: "في نهاية القرون الوسطى اختفى الجذام من العالم الغربي... وقد كان اختفاء هذا الداء غريبا، ويعود ذلك دون شك إلى بعض الممارسات الطبية المشبوهة، وأيضا إلى الفصل العفوي بين المرضى وغير المرضى، ونتيجة أيضا للقطيعة التي حدثت بعد انتهاء الحروب الصليبية مع البؤر الشرقية للداء" (فوكو، 2006، صفحة 23)، وتلك الأماكن التي كان يعالج فيها الجذام لم يتم القضاء عليها، بل شهدت لعبة الإقصاء بعد قرنين أو ثلاثة من الزمن، فقد حل فيها الفقراء والمشردون الخاضعون للإصلاح والمرضى النفسانيون محل المصابين بالجذام، وهذا التغير المؤسساتي لازمه تغير في المخيال الجماعي لعصر النهضة المتمثل في سفينة الحمقى، في البداية كانت مجرد تأليف أدبي مستعار، ثم أصبحت من الألحان الشائعة، حيث يبحر الطاقم المكون من أبطال ينتمون إلى المخيال ومن نماذج أخلاقية أو أنواع اجتماعية في رحلة طويلة رمزية إن لم تأت بالثروة فإنها ستكون صورا في قدرهم وحقيقتهم (فوكو، 2006، صفحة 29)، يقول فوكو أن هذه السفن التي تنقل حمولتها الجنونية من مدينة إلى أخرى كانت موجودة فعلا، والحمقى كانوا يعيشون حياة الترحال والتيه، وهذه الممارسة كانت سائدة خاصة في ألمانيا؛ السفينة والماء وإبحار المجانين تحمل دلالات رمزية كبيرة، فالماء يكتسح كل شيء، إلا أنه يفعل أكثر من ذلك إنه يطهر، وبالإضافة إلى ذلك فإن الإبحار يسلم الإنسان إلى قدر غير محدد، كل إنسان يسلم نفسه إلى قدره، إن إبحار المجنون في الوقت ذاته هو تمييز صارم وانتقال مطلق (المزوغي، 2010، صفحة 51).

وفي العصر الكلاسيكي كان هناك ربط كبير بين المجنون والبحر، وتم اعتبار الجنون على أنه الحضور المسبق للموت، والمجنون المحجوز داخل مركب لا يستطيع من فكاكا، فقد أسلم أمره للنهر ذو الأذرع المتعددة، إنه يسلم نفسه إلى عالم اللايقين الرهيب الموجود خارج كل شيء، وهو مسجون ضمن السبل الأكثر حرية والأكثر انفتاحا، والأرض التي سيحط بها تجهل عنه كل شيء، كما لا تعرف اليابسة التي ستطؤها أرجله من أي أرض هو آت، فلا حقيقة له، ولا وطن إلا في ذلك الامتداد الخصب بين البراري التي لا يمكنه الانتماء إليها (فوكو، 2006، صفحة 32).

خطاب فوكو يبدو وكأنه قلب لكل ما قد يوصف أنه عادي أو لائق، وهو في ظاهره تاريخ أو فلسفة أو نقد، ولكنه يشكل في الواقع نقيضا ساخرا لكل هذه الأنواع من الخطاب، وكان هدف فوكو هو تحطيم الخطاب نفسه وهذا نلاحظه من خلال المجاز الذي يستعمله كثيرا بداية في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، حيث كان يستعمل الكلم في غير موضعه (المزوغي، 2010، صفحة 58).

يحتل العقل والعقلانية مكانة راقية في الثقافة الغربية، ومعلوم أن فوكو في جهة نيتشه أي في جهة اللاعقلانية، هذا في حين أن هابرماس يتموضع في جهة العدوين اللدودين لنيتشه على المستوى الفلسفي، وهما كانط وهيغل، وهذان الأخيران يمثلان ذروة العقل الغربي في تفوقه وعظمته، لكن فوكو وفلاسفة ما بعد الحداثة يريدون تفكيك هذه العقلانية الفذة بلغة جاك دريدا، أو تعريتها على الطريقة الجينيالوجية والأركيولوجية إذا ما استخدمنا لغة نيتشه وفوكو (صالح، 2003).

لقد شن هابرماس حملات عنيفة على فلاسفة ما بعد الحداثة ومن بينهم فوكو، الذين يريدون تدمير الحداثة والأنوار وإنجازاتهما، فعندما تم دعوة هابرماس إلى باريس لإلقاء محاضرته عن الحداثة في الكوليج دو فرانس، شن هجوما ساحقا على الفلاسفة الفرنسيين، واعتبر أنهم بحجة تجاوز الحداثة يريدون القضاء على أفضل ما أعطته، الحداثة هي العقلانية الغربية التي تشكلت في نهاية القرن الثامن عشر، وحسب هابرماس تمثل عظمة

الغرب وتفوقه على جميع شعوب الأرض، وبالتالي اعتبر فلاسفة فرنسا أنهم أشخاص عدميون نيتشويون لا مسؤولون، واتهمهم بالنزعة الفوضوية التي تريد إخضاع العقل للنقد الجذري من أجل زعزعة جدرانه الحديدية، فالعقل أصبح سجنا أو قبرا بالنسبة إليهم (صالح، 2003).

ويقول المؤرخ بول فيني الذي حضر عشاء إلى جانب هابرماس وفوكو، حيث جرى بينهما نقاش حول مسائل سياسية وأخرى فلسفية، وقد أنهى فوكو هذا النقاش بقوله : ربما كنت فوضويا يا سيد هابرماس، وقد كان هابرماس اتهمه بالفوضوية والعدمية على طريقة نيتشه و هيدجر، وعندما ألقى فوكو درسه في الكوليج دو فرانس عن نص كانط ما هو التنوير؟ وأعلن فيه أنه ينتمي إلى الخط الفكري الذي دشنه صاحب نقد العقل الخالص قبل أكثر من مائتي سنة، جعل هابرماس يعتبر ذلك علامة إيجابية في تطور فكر فوكو، واعتبر أن هذا تراجع عن نقده الراديكالي المدمر للحداثة، حيث أنه رثاه بمقالة مؤثرة بعد موته المفاجئ سنة 1984، واتخذ رثاؤه العنوان التالي "سهم يخترق قلب الأزمنة الحاضرة" والمقصود بالسهم هنا هو فوكو الذي لم يعش طويلا، والذي أمضى حياته المتوترة في نقد الحداثة ومؤسساتها، يضاف إلى ذلك أنه اخترق العصر كالنيزك الحارق (صالح، 2003).

2.2 في المعرفة والسلطة:

لقد قام ميشيل فوكو بأكبر محاولة لنقد العقل الغربي وتعرية ملابساته السلطوية وكل أشكال الهيمنة التي ترافقه، وأثبت أن هذا العقل ليس معرفيا محضا، وليس واعدا بالحرية كما يزعم، إنما هو متورط في ممارسات القوة والهيمنة والسلطة، هذه السلطة التي أصبحت تهيمن بشكل كلي على مستويات الوجود البشري.

يتحدث فوكو عن المعرفة لا كعملية خلق وابتكار وتفنن غير مشروط، وإنما كحصيلة عملية من التنويع والتشكيل المحكومة ببعض قواعد تعمل بطريقة قبلية ولكن في حدود تاريخية بحتة، ومن ثم فالأركيولوجيا لا يصبح تاريخ الفكر بمعناه المألوف، وإنما شروط

إمكانه، أي دراسة الأرضية المعرفية التي تحكم قوانين انبثاقه، الأمر الذي يترتب عليه نبذ مفاهيم التأثير والتأثر والأصل والمصدر والتكامل والتلاقي، وكذلك استبعاد العملية الغائية التي يضفيها العقل أو الشعور على الأشياء، ورفض دور السببية التي ترتبط بين ظواهر تقوم على التشابه والتكرار، حيث يمكن توحيد مجموعة من الأحداث المتناثرة حول مبدأ رئيسي (الكردي، 1992، صفحة 08).

ومنذ بداية فوكو التدريس في الكوليج دو فرانس سنة 1970 يبدأ في الحديث عن منهجه الجينيالوجي الجديد الذي استلهمه من كتابات نيتشه، حيث يبن الجوانب التكوينية والوضعية للمؤسسات والتنظيمات والآليات السلطوية التي لعبت دورا هاما وفعالا في تأسيس الممارسات الفكرية، التي ارتبطت بها كل هذه العلوم الطفيلية التي نعرفها تحت مسمى علوم الإنسان، وقد استطاع فوكو بفضل مفهومه الإنتاجي للسلطة الذي طبقه في دراسته عن نشأة السجن سنة 1975 أن يربط عمليات التنظير الفكري في الغرب بواقع الحياة الاجتماعية بتوجهاتها الإستراتيجية الأساسية نحو بناء الدولة الليبرالية الحديثة، ومن ثم ربط فوكو بين الممارسات المعرفية وما يتمخض عنها من علوم نفسية واجتماعية واقتصادية وغيرها بالتنظيمات والتقنيات التي تبتكرها السلطة لإخضاع الأفراد وتطويعهم، بحيث يتم دمجهم في الآلة الإنتاجية الكبرى للمجتمع الرأسمالي، الذي تستقر دعائمه من خلال هذا الربط، كما ينسب فوكو إلى السلطة استخدام تقنيات مماثلة لتقنيات كنسية مثل الاعتراف، وعملية فحص الضمائر، بهدف تطويع النفوس وتثبيت مبادئ الضبط والتنظيم، بطريقة تتداخل فيها معايير السوية والصحية، والعقلية والنفسية، والاجتماعية والأخلاقية (الكردي، 1992، صفحة 10، 11).

ينسب فوكو للسلطة آليات ملتوية، واعتباره أن المعرفة كحصيلة للتشكل التاريخي نافيا عنها صفة الإبداع والابتكار، ففوكو كان يصر على تجاهل اللحظة الخاصة للعلماء واعتبر أنها تعطي اعتبارا مبالغا فيه، ويعطي مثالا على ذلك تصور نيوتن للجاذبية، يقول فوكو أنها ليست مهمة، وهذا النوع من تاريخ العلوم يحتوي على كثير من المشكلات، ففوكو

مشغول بـ"لاشعور الثقافة" أو بما كان مخفيا ومكبوتا منها، وكيف أن هذه التحولات العلمية التي تظهر شيئا كان موجودا وتكبت شيئا آخر كان موجودا كذلك؛ في حين أن تشومسكي أكد على الإبداع والاستعداد الغريزي لاكتساب اللغة، وقد أقر فوكو أنه لا يؤمن بالطبيعة البشرية، وقد يعتبر هذا الكلام خطيرا، لأن هذه النظرة لا تعطي أي اعتبار للقيم الإنسانية (التلفيزيون الهولندي، 1971).

ويوجد من المفكرين الذين لم يصدموا فقط بأفكار فوكو، بل استاءوا منه، ولذلك عارضوا منهجية فوكو الفلسفية واستتباعاتها العملية، ومنذ الوهلة الأولى شدهم أسلوب فوكو الذي بدا لهم غريبا عن البحث الفلسفي والتاريخي، حيث أكد هيدون وايت أن نثر فوكو غير ملائم للتفكير العلمي، بل واعتبر أن وراءه خلفية إيديولوجية تتمثل في سد الباب أمام أي نقد يوجه إلى أعماله، يقول وايت: "فجمله لا تنتهي –جمله الاعتراضية، وتكراراته- وما ينحته من كلمات ومفارقات، وجمعه للمختلفات، ومناوبته بين المقاطع التحليلية وتلك التي تتخللها الروح الغنائية، ومزجه للمصطلحات العلمية والأسطورية، كل هذه الأمور يبدو أنه قصد منها حجب خطابه عن أي تناول نقدي يقوم عن مبادئ إيديولوجية تختلف عن مبادئه" (رايت، 2004، صفحة 97)، فمن الصعب تحديد موقف فوكو الإيديولوجي نفسه، فهو إن كان يكره الليبرالية فهو يحتقر اعتماد الفلسفة المحافظة على التراث، ومع أنه كثيرا ما يساند الراديكاليين الماركسيين، إلا أنه لا يشاطرهم ثقتهم بالعلم، وهو يصف اليسار الفوضوي بالصبيانية بسبب ما يعقد من آمال على المستقبل، وبالسذاجة بسبب ما إيمانه بطبيعة إنسانية طيبة، وموقفه هذا يجعله ضمن العدمية النيتشوية التي تقول بجنون كل حكمة، وحماقة كل معرفة (رايت، 2004، صفحة 98).

لم يخفي فوكو تأثره بنيتشه وقد أعلن ذلك صراحة، لكن تأثره بهيدجر بقي جاثما لم يفصح عنه إلا في بعض حواراته المتأخرة، اعتبر «آلان ميجيل» أن فوكو هو وريث نيتشه و هيدجر، وعلى الرغم من أنه يختلف معهم في التفاصيل فإنه يقبل افتراضاتهما الأساسية

حول أزمة الحداثة وعدمية الحاضر، وأعماله التاريخية تتخللها نظرة متأزمة للواقع، فهو يعمل بنشاط لزرع فكرة الأزمة، وكل شيء عنده قابل للتحطيم، أو يجب تحطيمه، ومع مفكر مثل فوكو فإنه ليس من المستغرب أن من بين الأشياء التي حطمها قواعده ذاتها، ثم يعيد صياغتها وتحطيمها من جديد، وقد كان تعامله مع النصوص مختلف، وأن سلطة خطاب فوكو متأتية من واقع أن خطابه غير مفهوم وغامض، وعلى أساس هذا الغموض فإن نصوصه متعددة بتعدد القراء، وجذابة لكل من يستشعر عيوبا في النظام القائم (المزوغي، 2010، صفحة 15).

يناهض فوكو المثقف الكوني الذي يستأثر بحقيقة الخطاب، ويزعم التحدث باسم الجميع؛ ويحتقر المتنبئين بالمستقبل الذين يبنون مشاريع في الهواء، وقد سمى فلسفته "إشكالية انطولوجيا الحاضر"، لكن ما يحسب عليه أنه هو نفسه سقط في نفس الفخ الذي عابه على الآخرين، حيث أنه تنبأ مثلا بأنه يوما ما سيصبح القرن الحالي قرنا دولوزيا، نسبة إلى زميله الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز، ونبوءته هذه لم تتحقق إلا في البلدان الفرانكفونية، فدولوز ليس له هذا الحضور المكثف والطاغي في الدراسات الفلسفية المعاصرة، وقد تكون نبوءته هذه إحدى المجازفات الفكرية التي وقع فيها فوكو (المزوغي، 2010، صفحة 18).

3.2 في الأخلاق:

يعتبر فوكو أن مؤلفه المعنون بـ"تاريخ الجنسانية" هو تاريخ في الأخلاق، ويهتم هذا التاريخ بمسائل أربعة، يسميها فوكو: الجوهر الأخلاقي، صيغة الخضوع، ممارسة الذات، الغائية الأخلاقية، بمعنى التساؤل عما يهتم به مجتمع أو مجموعة في فترة تاريخية معينة، وهذه الجوانب الأربعة لا تعمل منفصلة أو معزولة، بل هي مترابطة ومتداخلة خاصة في علاقة الذات بذاتها، فهي على حد تشبيه دولوز بمثابة العلل الأربعة: المادية والصورية والفاعلة والغائية (العيادي، 1994، صفحة 99).

إن تاريخ الجنسانية يبدأه بكتاب "إرادة المعرفة" ليتلوه فيما بعد بكتابين "استعمال اللذات" و"الانشغال بالذات" كجزأين ثاني وثالث، الصادرين سنة 1984، فبعد بيان كيفية تشكل منطوق الجنسانية الراجع إلى بداية القرن التاسع عشر، وبعد بيان أشكال الضبط الاجتماعي وتقنيات السلطة الحيوية في الجزء الأول، سيحيلنا فوكو إلى ما يسميه تقنيات الذات، أي أشكال ضبط الذات ومراقبتها والسيطرة عليها من خلال علاقة الذات بذاتها، فبعد ثمان سنوات من صدور كتاب إرادة المعرفة سيعود فوكو بعيدا إلى القرن الرابع قبل الميلاد ليدرس فترة تمتد حتى القرن الثاني ميلادي، وهو بذلك يتابع جينيالوجيا كيفية تكون الذات.

في تاريخ الجنسانية يعتبر فوكو أن الدراسات التي قام بها هي دراسات تاريخية من جهة الحيز الذي تعالجه، والمراجع التي تتخذها، ويقول في الوقت نفسه هي ليست أعمال مؤرخ (فوكو، استعمال اللذات، 1991، صفحة 11)، ومع ذلك فإنه يعرف نفسه على أنه أستاذ تاريخ أنظمة الفكر، ومهما كانت الأسماء فإن فوكو مؤرخ يختلف عن المؤرخين، فهو يقف بعيدا عن مفاهيم التاريخ ومناهجه المتعارف عليها، والمنظرون الأخلاقيون طالبوه بمعايير وقواعد واضحة لتبرير حملته المتواصلة ضد الأخلاق، حيث تساءلوا عن المبادئ التي استعملها في انتقائه للأحداث وتطويعها لأغراضه النظرية (المزوغي، 2010، صفحة 17).

وعلى غرار فوكو باعتباره ينتمي للتيار مابعد الحداثي، فعلى المستوى الأخلاقي هذا التيار يتميز بموقفه العدمي، وليس خصوم هذا التيار فقط من يستعمل هذا الوصف، بل حتى المنتمون لها مثل جياني غاتيمو في كتابه نهاية الحداثة، حيث يصف موقف ما بعد الحداثة بالعدمي، وبين أصوله عند نيتشه و هيدجر، يقول: "تتخذ لفظة العدمية هنا المعنى الذي أعطاه نيتشه لها في الملاحظة الافتتاحية لمؤلفه "إرادة القوة" : الوضع حيث يتدحرج الإنسان إلى خارج المركز نحو المجهول، ولكن هذا المعنى للفظة عدمية يلتقي بشكل إجمالي بتعريف

هيدجر لها: العملية التي بها في نهاية المطاف لم يعد ثمة شيء فيما يتصل بالوجود (غاتيمو، 1998، صفحة 23).

ولقد أفرد جيل دولوز فصلا كاملا لمفهوم العدمية في كتابه "نيتشه والفلسفة" حيث بيّن أصل الكلمة ومعانيها الأساسية، يبيّن أن العدمية La nihilisme لا تعني اللاوجود، بل قيمة عدم أولا، والحياة تأخذ قيمة عدم بمقدار ما يجري نفيها والحط من قيمتها، والحط من القيمة يفترض دائما وهما، كما يبين صلتها بنيتشه عن موت الله، واستعمالها في نقد هيجل وتأسيس نظرية الإنسان الأعلى، فتعني العدمية في معناها الأول وفي أساسها قيمة عدم تأخذها الحياة، وهم القيم العليا التي تعطيها قيمة العدم هذه، إرادة العدم التي تعبر عن نفسها في هذه القيم العليا، والمعنى الثاني للعدمية والأكثر شيوعا، هي لا تعني إرادة، بل ردة فعل، يجري رد الفعل ضد العالم الفومحسوس، وضد القيم العليا، يجري نفي وجودها وإنكار صحتها إنكارا كاملا، لم يعد هذا هو الحط من قيمة الحياة باسم قيم عليا، بل بات حطا من قيمة القيم ذاتها (دولوز، 1993، صفحة 189، 190).

هكذا ينفي العدمي الله، والخير، وحتى الحقيقة، لا شيء حقيقي، لا شيء خير، لقد مات الله، لم يعد عدم الإرادة عرضا فقط لإرادة عدم، لكن في أقصى الأحوال بات نفيا لكل إرادة قرفا من الحياة، لم يعد هنالك إرادة إنسان أو إرادة أرض "الثلج في كل مكان، الحياة خرساء هنا، وآخر الغربان التي تسمع صوتها تنحب ما الفائدة ! عبثا لا شيء ينبت أو ينمو هنا بعد الآن" (نيتشه، 1981، صفحة 101).

ولا شك أن كتابات فلاسفة مابعد الحداثة الفرنسية تحيل إلى العدمية، وهي في صورتها ما بعد البنيوية كما يمثلها فوكو ودريدا ودولوز وليوطار وبودريار ذات أصول نيتشوية وهيدجرية.

وإذا كانت ما بعد الحداثة في عمومها تتصل بميراث العدمية، فإنها تتصل أيضا بالميراث الكانطي، وبتأويل معين للفلسفة النقدية الكانطية وهذا ما نجده عند فوكو، ومسألة أخرى وهي علاقة الأخلاق بالجمال، حيث حاول فوكو الجمع بينهما من خلال فن الوجود، ولا شك

في أن العلاقة بين الأخلاق والجمال هي علاقة ملتبسة، ذلك أن موضوع الجمال هو موضوع تأمل، في حين أن الخير هو موضوع عمل وتصرف، ومن هنا يرى بعض الباحثين أن المدخل المناسب لهذه العلاقة يكمن في التأكيد على أن خصوصية الجمال الأخلاقي يظهر في الفعل، بما هو إبداع ذاتي، وأن الفعل الجميل تعبير عن فعل قائم بذاته يترجم العناية والاستقامة، ويبلغ مداه في التسامي، بحيث يتجلى الخير في أفعاله، وبذلك نرى الجمال علامة على الخير (بغورة، 2013، صفحة 256).

يقول فوكو: "ينبغي أن أفترض أن خطابي هذا لا يؤّمن لي طول البقاء، وإنني إذ أتكلم لا أتحاشى موتي وإنما أؤسسه، أو بالأحرى أنني أزيل كل داخلية في هذا الخارج الذي لا يبالي بحياتي، هذا الخارج الذي لا يقيم أي فرق بين حياتي وموتي" (فوكو، حفريات المعرفة، 1987، صفحة 274)، لم يسعى فوكو إلى بناء صرح فلسفي ضخم خالد، على غرار الفلاسفة الحداثيين، ففلسفته تعبير عن واقع يعيشه الغرب، كل ما حاول القيام به هو حفر وتعرية هذا الواقع تماشيا وتعريفه للفلسفة باعتبارها تشخيصا للواقع كما يحددها فوكو.

وقد كان مشروع فوكو الفلسفي وفيا لتراث ثوري كامل في الفلسفة الغربية، افتتحه كانط، وسار على هديه كارل ماركس فيما بعد، ففوكو لم يكتف بالتنظير للعلوم الإنسانية الحديثة، وبلورة المصطلحات الجديدة الفعالة، وتجديد الأدوات الفكرية فحسب، وإنما تجاوز كل ذلك إلى التفكير بإمكانية تغيير الواقع عمليا، لكي يصبح أكثر حرية وأكثر عدالة، أو أقل ظلما، وهنا تجيء كتبه مثل "تاريخ الجنون" أو "المراقبة والعقاب" أو "تاريخ الجنسانية"، في هذه الكتب الثلاثة حاول فوكو أن يعطي حق الكلام لمن هم محرومون منه تاريخيا، أراد إعطاءه للمجنون الذي لا يستمع إليه أحد إلا لكي يسخر منه، وللسجين، وللحركات النسائية والتحرر الجنسي، لم يقل فوكو بأن المجنون أفضل من العاقل، أو أن السجين بريء في كل الأحيان، أو أن الحرية الجنسية ليس لها حدود، لم يقل ذلك أبدا في أي كتاب من كتبه، فكل ما أراد أن يفعله هو التعرية الأركيولوجية لأسس الحضارة الغربية،

والكشف عن وجهها السالب الذي هو جزء لا يتجزأ من وجهها الموجب، بمعنى تعرية أسس الحضارة البرجوازية الليبرالية على مستوى الإنجازات والمؤسسات، وتبيان ضحاياها على أرضها بالذات، فلكل حضارة ضحاياها، وهنا تبرز أهمية بحوثه، والشيء الذي لا يقبل به فكر فوكو هو أن تعتبر مؤسسات الحضارة الغربية، ومقولاتها، وإيديولوجياتها المرافقة، بمثابة القانون الكوني والبديهيات التي لا تناقش، فليس هناك بديهيات لا تناقش بالنسبة لفوكو، وليس هناك خطاب بريء كل البراءة (صالح، فيلسوف القاعة الثامنة، 1984، صفحة 13).

3. امتداداته:

لقد كان ميشيل فوكو إنسانا متعدد الأقنعة والوجوه كما كان يسميه الأنثروبولوجي "جورج دوميزيل" (الكردي، وجوه وقضايا فلسفية، 1998، صفحة 47)، ومن ثم كانت تأثيراته متعددة الجوانب بتعدد الحقول التي خاض فيها بالبحث والتنقيب، بداية بالجنون الذي تحدث عليه في أول أعماله (تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي) الذي يمثل الانطلاقة الرسمية لمشروعه الذي كانت مادته الأساسية الخيرة الإنسانية في لحظات إبداعها لأشكال التعسف المختلفة للحد من اندفاع الجسد والروح وتخطيهما لحدود المعقول والعقلاني والمستقيم والرزين، بقذف الذات داخل عوالم اللاعقل التي لا تقترن بأية حدود إضافية غير التي من أشياء الطبيعة وطبيعة الأشياء (فوكو، 2006، صفحة 11).

وقد تعددت حقول فوكو حتى انه اشتغل بالصحافة، وما يؤكد ذلك ذهابه مرتين إلى إيران، الأولى من 16إلى 24 سبتمبر أيلول سنة 1978، والثانية من 09 إلى 15 نوفمبر من نفس السنة، وقد استقبله في "قم" آية الله شريعة مداري ثاني أكبر شخصية دينية في البلد ومنظر الليبراليين والمعارض لممارسة السلطة السياسية من طرف رجال الدين، وتولى الترجمة بينهما "مهدي بارزكان" مؤسس لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان (فوكو، أقوال وكتابات، 2012، صفحة 07).

1.3 حضوره بين معاصريه:

وقد خصّ له الكثير من معاصريه من المفكرين كتابات يتحدثون فيها عن أعماله ونذكر منهم جيل دولوز الذي كتب كتاب (المعرفة والسلطة مدخل لقراءة ميشيل فوكو)، يقول عنه : "فوكو فيلسوف عظيم وهو أيضا مبدع مدهش في مجال الأسلوب، فقد فصل المعرفة والسلطة على نحو مختلف ووجد بينهما علاقات خاصة، واكتسبت الفلسفة معه معنى جديدا، ثم إنه أدخل سيرورات التذويت كبعد ثالث للمنطوقات Dispositifs كاصطلاح ثالث متميز يعطي دفعا جديدا للمعارف ويعدل السلطة، فيفتح بذلك نظرية كاملة وتاريخا لأشكال الكينونة" (المؤلفين، 2004، صفحة 59).

ومنهج فوكو حسب دولوز يرفض الكليات ويكتشف سيرورات متميزة دائما تنشأ داخل التعدديات، وما أثر في دولوز أكثر من سواه هو نظريته الخاصة بالملفوظ، لأنها تنطوي على تصور للغة ويعتبرها كلا غير متجانس ومختل التوازن وتتيح للتفكير في صياغة نماذج جديدة من الملفوظات في كل الميادين يقول دولوز :ليس الكتاب الذي كتبته تاريخا للفلسفة بل هو كتاب قد كنت أود تأليفه معه، وبالفكرة التي احملها عنه والإعجاب الذي أكنه له، إذا ما تمكن هذا الكتاب من اكتساب قيمة شعرية فإنها ستكون ما يسميه الشعراء ضريحا، واختلافاتي معه ثانوية جدا، إن ما يسميه منطوق وما أسميه أنا وفيليكس غاتاري ترتيبا Agencementليس لهما نفس الإحداثيات لأنه يكوّن متتاليات تاريخية مبتكرة، بينما نولي نحن الأهمية الكبيرة للمكونات الجغرافية لإقليميات وحركات نزع الإقليمية، كان لدينا دائما ميل نحن تاريخ كوني، وهو ما كان يكرهه" (المؤلفين، 2004، صفحة 60).

كما كتب فوكو حول دولوز شذرات كثيرة وأشار إلى أهمية أعماله في إخصاب المجال الفكري والفلسفي المعاصر، وأكد في الكثير من حواراته على أن تصوره للحضارة الغربية كحضارة قائمة على التأديب والمراقبة ما كان ليتم لولا العمل الذي أنجزه دولوز صحبة غاتاري حول نقد التحليل النفسي بامتداداته اللاكانية، وتجديد مفهومي الرغبة والمقاومة ويتعلق الأمر

بكتاب "أوديب مضادا"، وقد كان الجزء الأول من عملهما حول الرأسمالية والفصام، وهو حسب فوكو مدخل إلى حياة مناهضة للفاشية، إضافة إلى ذلك فقد أصدر فوكو مقالا خصّ به مؤلفي دولوز (منطق المعنى، الإختلاف والتكرار) وقد تخللته عبارة فوكو: سيأتي يوم ويصبح فيه العالم دولوزيا.

ويؤكد دولوز أن فوكو في كثير من الأحيان أسيئ فهمه، وهذا الأمر لم يكن يزعجه ولكنه كان يحيره، واعتبره أيضا مواصلا لمهمة الفلسفة كما بينها نيتشه، وهي مهاجمة البلاهة، حيث أن مجرد وجوده يمنع وقاحة الأغبياء، فالفكر عنده عبارة عن عملية غوص تخرج دائما شيئا ما إلى النور، وقد اعتبر " دولوز" أن المسلك الأخير الذي فتحه فوكو في غاية الثراء، يقول دولوز : لا علاقة لسيرورات التذويت بالحياة الخاصة، لكنها تعني العملية التي من خلالها يتكون الأفراد والجماعات كذوات على هامش المعارف المكونة والسلطات القائمة مع احتمال إتاحة الفرصة لمعارف وسلطات جديدة، لذلك يأتي التذويت في درجة أولى منفكا EnDécroché دائما، في شكل طية وإعادة ثني أو طي، ينسب فوكو أول حركة للتذويت على الأقل في الغرب إلى اليونانيين عندما يفترض الإنسان المتحرر أنه ينبغي أن يتحكم في نفسه إذا كان يريد أن يتحكم في الآخرين" (المؤلفين، 2004، صفحة 60).

ينتمي كل من دولوز وفوكو إلى ما يمكن تسميته بالتعدد والاختلاف، حيث يتم تعليق الذات والتصور الواحدي للذات كمرجع ودعامة لفعل التأسيس الفكري كما عودنا على ذلك التقليد الفلسفي من ديكارت إلى هوسرل، وليس غريبا أن يعتبر دولوز وفوكو من ورثة رواد النزعة الشكية المعاصرة- ماركس، نيتشه، فرويد- حيث تحيل الذات إلى مناطق تشتتها وتكونها ومحدوديتها بيولوجيا ولا شعوريا وتاريخيا، بمعنى لا مركزيتها في عملية التأسيس، وإن الارتباط الوثيق بين الفكر والحياة الواضح المعالم بدوره هو ما يفسر قراءة دولوز لأعماله فهي قراءة حركية واستعادية تحاول فهم السابق من الأعمال من خلال اللاحق اعتبارا لبعد السيرورة فيها، فدولوز لم يستخدم مفهوم القطيعة عند معالجته لمنطق الفكر لدى فوكو، بل استخدم مفهومي التحول والصيرورة، إذ يتعلق الأمر كل مرة وع صدور كل كتاب جديد

بإعادة صياغة القضايا والأسئلة التي طرحتها المؤلفات السابقة، ويكون شكل هذه الصياغة المتجددة صدى لاكتشاف محور جديد أي ممكن آخر، وهذه الصيرورة نفسها هي خلاصة لتفاعل الفكر بالحياة، إذ لا معزل للفكر عن اضطرابات المدينة فقضاياها تسكنه دوما وهو ما يعبر عنه دولوز بارتباط الأشكال بالقوى ارتباطا يسمح بالتنقل من مستوى التحليل الخطابي إلى مستوى ميكرو فيزياء العلاقات السلطوية بعيدا عن كل استناد إلى ذاتية المتكلم، فالأهم في استجلاء الاستراتيجيات الكامنة وراء كل شكل تعبري يتخذه الفكر خطابيا كان أو مرئيا، فهناك دائما متكلم أو فاعل مجهول وراء فعل الكلام، مجهول الإبستيميات واللغة كما يقول فوكو في مرحلته الأولى ومجهول الاستراتيجيات السلطوية في المرحلة اللاحقة (العريضة).

2.3 حضوره في أمريكا:

ولدت الفلسفة الأمريكية انجليزية أوروبية وسرعان ما تحررت منها تحت وطأة المشاكل التي لا يقدم لها الفلسفة الانجليزية أية حل، حيث سرعان ما فتحت التجربة الانجليزية الساحة أما فلسفة الفعل العملية التي جاء بها العلم التجريبي، وقد كان أواسط القرن التاسع عشر تاريخا لمولد الفلسفة الأمريكية بالمعنى الدقيق وفتحت أولى الجامعات بالولايات المتحدة الأمريكية جامعة (جون هوبكنز)، وأصدر داروين كتابه (أصل الأنواع) عام 1859، وفي هذا العام ولد جون ديوي وفيه أيضا بلغ تشارلز بيرس العشرين من عمره وكان وليام جيمس على وشك بلوغ العشرين من عمره أيضا (ديلودال، 2009، صفحة 21).

لقد كانت ثقافة الغرب بتجلياتها الشاغل الأساسي لفوكو رغم رفضه التصنيفات التي قيلت على منحاه الفكري، واعتبر أن ما يكتبه هو تاريخ الأفكار، وقد كان التاريخ موضوعا لعمله الذي يمكن معاينته وفقا للثقافة الحديثة ولقوى المعرفة والسلطة السائدة، وقد تعرضت أفكاره للتكاثر فلم يعد بعضها من نصيبه وحده نظرا لتعدد إسهاماته المعرفية وقد تبنت وسائل الإعلام بعض أفكاره (المؤلفين، التحليل الثقافي، 2009، صفحة 203)، وهو ما ساعد

على انتشار فكره وخروجه كم الحيز الأوروبي قاطعا مسافات في العالم ووصوله إلى مجتمعات أخرى مختلفة الثقافة والإرث الفلسفي، ومن هذه المجتمعات المجتمع الأمريكي، ففكر فوكو يفرض نفسه كمفتاح لقراءة الزمن الحاضر وفكره كان عبارة عن فسيفساء ضخمة بتنظيماته المعرفية والسياسية والقانونية والأخلاقية والسلطة وبناء الذهنية المتحكمة في الأفراد.

ولو أخذنا ريتشارد رورتي كنموذج من الفلسفة الأمريكية فسوف يكون علينا أن نتحدث عن رأيه في الابستيمولوجيا، حيث نجد أنه انتقدها ويعتبر أن من مهامها إثبات معرفتنا بقدر ما يكون دورها ينحصر في إضفاء الشرعية على المعرفة العلمية بحيث تصبح نموذجا لأشكال المعارف الأخرى، وحينها تصبح مهمة الابستيمولوجيا استنباط شروط إمكانية الصلاحية والعمل على توسيعها لإظهار إمكانية معرفة صارمة في مجال آخر، إلا ان رورتي يقترح استبدال الابستيمولوجيا بالإنشاء édification وجهود البرهنة في التقليد الغربي، حيث يتفق مع غادامير الذي يستعير منه مصطلح الإنشاء الذي يعمل على تحليله في كتابه (الحقيقة والمنهج)، ورورتي يتفق أيضا مع فوكو وبطاي في العودة إلى تلك المرجعية على مختلف التقاليد الجمالية والعلمية والأخلاقية والسياسية التي يرتبط بها المثقف الغربي ويشير إلى غياب كلي للتراجع النقدي حياد التراكم التاريخي والثقافي الغربي (جديدي، 2010، صفحة 240).

يقول محمد جديدي: ومثلما أن موقفه من التنوير ليس واضحا وتحتمل نصوص الفيلسوف نفسه تأويلات عديدة، فكذلك نلتمس في قراءته الجيدة والثرية لمجموعة كبيرة من أسماء الفلاسفة المعاصرين الذين يختار من بينهم ما يتناسب مع فكرته هنا، ويفضل آخر تماشيا مع فكرته هناك فتارة نجده مع ماركس ضد هيجل وأخرى يكون هيدجريا ضد بيرس وهكذا تتنوع مرجعياته الفلسفية بين نيتشه وفيدجينشتاين وفوكو وديريدا وغيرهم، غير ان مرجعيته الأولى والنهائية والمعلنة والمظمرة تضل على الدوام فلسفة جون ديوي" (جديدي، 2010، صفحة 242).

من تعدد مرجعيات رورتي الفلسفية وتغير آرائه فيما يخص المعرفة نلتمس حضور فوكو الذي ينادي بعد الثبات على رأي واحد فيما يخص المعرفة واعتبار ذلك يخص الحالة المدنية فقط، حيث يبرز فوكو فرضية جديدة حول دور المثقف، ذلك أن المثقف عنده ليس مواطنا في مؤسسة البحث عن الكوني كما انه ليس مستشارا تقنيا بل إنه مطالب بابتكار ونحت دوره من جديد (المؤلفين، التحليل الثقافي، 2009، صفحة 210.(

ومع رورتي إذا عدنا إلى نيتشه مثلا نجده يطوّع فلسفته بما يتقارب والبراغماتية جاعلا منه براغماتيا لا سيما تصوره لمسألة الحقيقة ونقده للمجتمع والتاريخ، ويستند في ذلك إلى رأي أرتير دانتو الذي يرى أن كل من نيتشه وجيمس قد قدما نفس الانتقادات للمفاهيم التقليدية حول الحقيقة وأنهما اعترضا عليها بنفس المسعى البراغماتي، كما أن نيتشه يعتبر في أعين رورتي نموذجا وبراديغما تنقسم بواسطته معطيات مراحل الفكر الفلسفي إلى حد انه يتخذ من ما بعد النيتشوي وصفا يستعيض به عن الما بعد حداثي، فاتخذ من نيتشه نقطة فاصلة بين نمطين مختلفين ميزا الفكر الفلسفي، وهو يقرّب فوكو من البراغماتيين باعتبار أن كل من ديوي وفوكو قد تحدثا بمضمون واحد ولكم بلغة فلسفية مختلفة فقط، فكلاهما وجه النقد نفسه إلى التقاليد، واقتنعا بضرورة التخلي عن المفاهيم الكلاسيكية للعقلانية والموضوعية والمنهج والحقيقة، وفي رأي رورتي أفكارهما تتقاطع حتى بخصوص التصورات المفترضة في البناء الاجتماعي ونقد المؤسسات القائمة،نجد أن رورتي من خلال جمعه بين الفلاسفة البراغماتيين ونظرائهم في أوروبا يسعى إلى نوع من التوحيد بين مختلف التيارات الفلسفية المعاصرة وعاملا على توحيد المعرفة بتمظهراتها المختلفة الفلسفية والعلمية والأدبية (جديدي، 2010، صفحة 242، 243)

3.3 تجليه في الكتابات العربية:

منذ بداية النهضة العربية كانت في علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع الفكر والثقافة الغربيين، وقد شكلت هذه العلاقة بإشكالاتها وموضوعاتها جزءا أساسيا من مرجعية

وتاريخية الفكر العربي المعاصر سواء على مستوى المناهج والمفاهيم أو على مستوى الرؤى والأطروحات، وفكر ميشيل فوكو من بين الخطابات الغربية التي كان لها حضور في الوطن العربي سواء من حيث التوظيف أو الحضور في الكتابات والترجمات، فكيف يظهر خطاب فوكو في الخطابات العربية المختلفة؟

يجب الإقرار بفكرة أن فوكو هو أكثر الفلاسفة غربية مقارنة بالفلاسفة الغربيين الآخرين، وهو ذاته مقتنع بهذه المسألة، وعبر عنها أكثر من مرة رغم محاولته الاتصال بالثقافات الغير غربية، ولكن ربما من خلال وعيه بهذه المحدودية لم يصدر أحكاما طبقت أعمال بعض المفكرين الغربيين الذين يدعون الانفتاح على الفكر الغير غربي، وعلى الرغم من أن فوكو لم يدرس الثقافة العربية إلا أنه تحدث عن بعض من جوانبها، حيث نجده ذكر البيمارستانات العربية وأهميتها وذلك في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، كما أنه تحدث عن اللغة العربية في كتابه الكلمات والأشياء، وتحدث أيضا عن منزلة الجنون في المجتمع العربي في محاضرة بمركز الطاهر حداد بتونس التي درس فيها بين سنتي 1966- 1968، هذه الإشارة تؤكد نوعا من الإطلاع على الثقافة العربية، وهي لا تؤكد دراسته أو بحثه في هذه الثقافة وهو الأمر الذي لم يدعه فوكو قط (بغورة، ميشيل فوكو في الفكر العربي المعاصر، 2001، صفحة 08).

وميشيل فوكو كان حاضرا في كتابات مختلف المفكرين المعاصرين أمثال محمد آركون، وإدوارد سعيد، والجابري، ومطاع صفدي.

محمد آركون: يعتبر مشروع آركون الفكري مشروع حداثة وتحديث في الوقت نفسه، حداثة لأنه يستخدم منجزات الحداثة الغربية، وخاصة على مستوى المناهج وطرائق البحث والتحليل، وتحديث للفكر العربي الإسلامي بعد كل ما شاهده من ضعف وانحطاط، وقد أطلق آركون على مشروعه اسم "الإسلاميات التطبيقية" في مقابل "الإسلاميات الكلاسيكية"، وذلك من أجل نقد العقل الإسلامي بمختلف أشكاله، ومن أجل إنجاز هذه المهمة اشترط آركون الإحاطة بمناهج وإشكاليات العلوم الإنسانية والاجتماعية وبالعلوم الإسلامية

بأنواعها وذلك في إطار مشروعه الفكري الكبير "الإسلاميات التطبيقية" (البشير، 2012، صفحة 10،09).

ويصرح آركون أنه استقى اسم الإسلاميات التطبيقية من روجيه باستيد، إلا أن مضمونها كما تبينه نصوصه يلتقي وما يسميه مشيل فوكو بتاريخ الحاضر، ذلك أنها تنطلق من واقع الحياة اليومية للأفراد والجماعات والإحاطة بالمشاكل المطروحة في كل مجتمع، لاستنباط ما يتعلق بها من تعاليم دينية وإبداعات ثقافية، وتتصدى الإسلاميات التطبيقية في إطار دراستها للحاضر بمهمتين أساسيتين وهما دراسة التراث والحداثة، دراسة تنطلق من مبدأ أساسي وهو الإقرار بالعلاقة العضوية بين المهمتين إقرار ينفي الفهم الشائع والمبتذل لهذه المسألة، يقول آركون:"أنه من غير الممكن أن تقيم روابط حية مع التراث ما لم نتمثل أو نضطلع بمسؤولية الحداثة كاملة، وبالمقابل فإنه لا يمكن لنا أن نساهم في إنجاز الحداثة بشكل ابتكاري إذا ما استمرينا في الخلط بين التراث التاريخي والتراث الميثولوجي" (بغورة، ميشيل فوكو في الفكر العربي المعاصر، 2001، صفحة 68.(

وإذا رجعنا إلى نص آركون فلا نجد صعوبة في إدراك الحضور القوي لمشيل فوكو ومفاهيمه ومصطلحاته، ومن بين هذه الأساسية مفهوم الإبستيمي، التي ترد في الترجمات العربية تحت اسم نظام الفكر، ومثلما ميز فوكو بين إبستيمي العقل الكلاسيكي وإبستيمي العقل الحديث يميز آركون بين إبستيمي الفكر الإسلامي الكلاسيكي وإبستيمي الفكر المعاصر (كيحل، 2008، صفحة 26، 27).

كما يوظف آركون أيضا مفهوم أركيولوجيا المعرفة أو المنهج الأركيولوجي، وهو منهج يطبقه في قراءته للتراث الذي هو عبارة عن طبقات متراكمة، والوصول إلى الطبقات العميقة أمر يتطلب الحفر الأركيولوجي؛ إضافة إلى مفهوم الفضاء العقلي L'espace montale حيث يميز بين الفضاء العقلي القروسطي والفضاء العقلي الحديث ويدعو إلى ضرورة إحداث القطيعة بينهما على طريقة فوكو، وينبغي ربط ذلك بمصطلحات المفكر فيه، واللامفكر فيه،

والمستحيل التفكير فيه؛ إضافة أيضا إلى مفاهيم مثل النظام والخطاب وكلها مفاهيم مفصلية في الخطاب الفلسفي الفوكوي (كيحل، 2008، صفحة 27)، ومن ثم كان حضور فوكو قوي وواسع في مشروع محمد آركون في دراسته للعقل الإسلامي وتشكلاته في التاريخ وتشريحه ونقده من خلال عدة منهجية تعد الأركيولوجيا منهجها الأساسي.

إدوارد سعيد: يصف إدوارد سعيد أعمال ميشيل فوكو والانطباعات التي تولدها يقول:"أعتقد أنه من الصحيح القول أن أعمال فوكو لا تترك أي قارئ إلا وتؤثر فيه أو تبدله، وذلك لسببين: الأول هو أن كل كتاب كما قال فوكو نفسه كان بالنسبة إليه تجربة في الانغماس وسجن الذات داخل تجارب محدودة، مثل الجنون والموت والجريمة، وكذلك بذل محاولة عقلانية لفهم هذا التوريط للنفس في تلك المواقف الصعبة، السبب الثاني أن أعماله كتبت في سلاسل، الأول يترك مشكلات مفتوحة يعتمد عليها الكتاب الثاني الذي يستدعي بدوره كتابا ثالثا... بحيث كانت كلها متشابكة ومتقاطعة وحتى أولئك القراء الذين خلق في نفوسهم درجة من النفور بلغت حد الاشمئزاز كانوا يشعرون أن إلحاح حجته ضل شديدا إلى حد ترك انطباع دائم في مختلف الأحوال" (المزوغي، 2010، صفحة 09).

ففضل فوكو حسب إدوارد سعيد يعود إلى تهديمه للمسلمات، ومن بينها الذات التي كانت في الفلسفة الكلاسيكية قد افترضت أن الأنا الثابتة والمستقلة كما في "أنا أفكر إذن أنا موجود" هي على التوالي مصدر وأساس كل معرفة، والذي قام به فوكو لا يدحض هذا فحسب بل يبين أن الذات إنشاء يتجمع تاريخيا وأنها قابلة لأن تكون ظاهرة تاريخية عابرة تستبدل في العصور الحديثة بقوى لا شخصية عابرة للتاريخ مثل رأسمال ماركس، أو لا وعي فرويد، أو إرادة نيتشه، دراسات فوكو حسب إدوارد سعيد تزودنا بالدليل على هذا التفكيك بالإضافة إلى تبيان الكيفية التي جعلت مؤسسات اجتماعية جبارة متنوعة مثل الكنيسة والصحة العامة والشرطة، فضلا عن سيرورات التعلم تبني وتدير السلطة التي تحكم الدول الغربية الحديثة (المزوغي، 2010، صفحة 09).

حينما نقرأ فوكو حسب ادوارد سعيد ترد إلى أذهاننا مشكلات ومسائل عديدة، غير أن شيء واحد لا يرد إليه الشك أبدا: لقد كان باحثا مذهلا ورجلا تقوده المعرفة التي لا تكل، ولعل أكثر مقاطع مجلد السلطة إدهاشا المقطع الذي يحمل عنوان: حيوات رجال شائني السمعة، وهو مقدمة قصيرة كتبها فوكو خصيصا من أجل مجموعة من سجلات الحبس في القرن الثامن عشر حول رجال ونساء أدينوا بجرائم مروعة، مثل قتل الأطفال وأكل لحوم البشر، حيث يكشف فوكو من خلال نزعة أدبية رفيعة مستجيبا على نحو لامع لحيواتهم المرعبة (المزوغي، 2010، صفحة 10، 11).

شهادات ادوارد سعيد تؤكد الانطباعات القوية التي خلفتها شخصية فوكو في العديد من الرجال الذين عرفوه عن قرب، وحسب رأي سعيد أن ما يميز فوكو كفيلسوف ومؤرخ هو تلك الممارسة لمخيلة مركزة على الهامشي والقابع في الظل مسخرا ذلك لمشروع أخلاقي كبير يرجع حتى لليونان من خلال تحليل آليات ممارسة الذات –دراسة مختلف تقنيات الذات- وشخصية فوكو شدت انتباه ادوارد سعيد لما حضر درسه في "الكوليج دو فرانس" في مطلع ربيع 1978 حين كان يلقي محاضرة كان موضوعها يدور حول "مبدأ الحكومة"، وقد كانت عن السلطة في سياق منهاج يمتد طيلة العام، ويتناول الأمن والأرض والسكان (المزوغي، 2010، صفحة 11).

بالإضافة إلى آركون وإدوارد سعيد الذين تأثروا بفكر ميشيل فوكو هناك أيضا مطاع صفدي، وهاشم صالح، ومحمد عابد الجابري ومجال الحديث لا يكف لذكر الكل بالتفصيل، فعلاقة مطاع صفدي بميشيل فوكو تتميز بكونه مترجما ودارسا لنصوص فوكو، ومفكرا ببعض مسائل الفكر العربي وفق مفاهيم فوكو أيضا، وأهمية دراسته تأتي من كونها على خلاف الرأي الذي يقول بعلاقة فوكو بالبنيوية، وهو بذلك يقدم قراءة جديدة في العالم العربي الذي ألف تصنيف فوكو على أنه بنيويا، كما أن هذه القراءة تعد مدخلا أساسيا لدراسة فوكو الذي لا يخفي علاقته بنتيشه، كما أن قراءته متعلقة بمسائل الحداثة والعقل

والموقف من الثقافة الغربية، أو ما يسميه بالمشروع الثقافي الغربي، وذلك من خلال تحليله لمسائل المعرفة والسلطة على ضوء تحليلات فوكو الخاصة بهذا الموضوع، والمتعلقة بنقد الحداثة الغربية.

وأهمية فوكو حسب مطاع صفدي لا تكمن في تحليلاته فقط، بل في كشفه عن آليات المعرفة والسلطة التي تتحكم في المجتمع الحديث من خلال منظور فلسفي وإبستمولوجي جديد، وتكمن أهميتها في ما يسميه فوكو بالذات والإنسان والأخلاق، ويتحدث عنها في مقدمة لكتاب "إرادة المعرفة" المعنونة بـ"الإيتيكا فن الوجود"، وإذا كانت المسألة الأخلاقية من المسائل الخاصة في فلسفة فوكو فإن المهم فيها هو موقفها من الذات والإنسان، وذلك من خلال تحليل مطاع صفدي لها حيث يبرز أن أركيولوجيا فوكو في مسألة الذات تقطع مع الذاتية بمعنى انبثاقة الجسد، والفرد يصنع جسده الخاص، ويغدو الفرد تحفة وجوده (فوكو، إرادة المعرفة، 1990، صفحة 07).

يقول مطاع في هذا الصدد: "ما يطمح إلى تحقيقه عصر فوكو المبكر الذي يبشر بمولد هذا الشكل من الفرد، شكل الفرد فحسب، وشكل الفرد هو ما يولد معه، ويموت بموته، إنه الشكل الذي يعجز دائما أن يكون النموذج أو العام، وعجزه هذا هو سر حداثته الآتية وبعد نموذج الحداثة، حداثة بدون نموذج، حداثة بعدية، لكن فوكو لم يدع هذا الاسم، لقد فضل التمسك بمصطلح الذات، وأضاف إليه أيقونة الفرد، شرط أن يكون لكل فرد أيقونته غير قابلة للاستعارة أو النقل" (فوكو، إرادة المعرفة، 1990، صفحة 07)، حيث أن تصور فوكو للفرد الذي يكون قادر على رؤية أضواء وسمع أصوات واقعة، ويشرع في اكتشاف ذاته وتغدو إشكالية وجوده هي مسألة إبداع وليس مسألة إتباع، وتبطل بذلك احتكارية الفن، ويغدو كل فرد مشروع فنان لا يقولبه أحد، ويصبح الوجود هو فن إبداع الفرد جمالية وجوده (فوكو، إرادة المعرفة، 1990، صفحة 23).

إن مطاع صفدي بهذه الأفكار وطريقة تعامله مع نصوص فوكو، وتركيزه على علاقة فلسفة فوكو بالآخر من خلال نقد الذات، ومفهومه الجديد للفلسفة، ودعوته إلى أخلاق فردية حرة

يكون قد فتح المجال أمام قراءة جديدة لفوكو في الوطن العربي، كما نجد فوكو أيضا حاضرا في مشروع محمد عابد الجابري مثل الخطاب والإبستيمية والسلطة، حيث أننا نجده وظف مفاهيم فوكو في مشروعه لنقد العقل العربي.

أما هاشم صالح فقد أبدى إعجابا كبيرا بفوكو ليس فقط بأفكاره، بل حتى بالطريقة التي ينقل بها تلك الأفكار خاصة في دروسه في الكوليج دو فرانس، حيث يقول هاشم صالح:" ميشيل فوكو نجما ! لقد كان وأكثر جاذبية من مارلين مونرو، ورومي شنيدر، على الأقل بالنسبة لي ذلك أن شهرته ونجوميته كانت مرتبطة في ذهني بعبقرية الفكر، وكنت أعتبر هذا النوع من الشهرة ولا أزال أعلى درجات المجد.. قد اهتز لرؤية شاعر، وأشعر بالرعب أمام رئيس جمهورية، وأسقط صريعا أمام ممثلة رائعة، ولكن اهتز أكثر بكثير لرؤية الفيلسوف، وخصوصا إذا كان الفيلسوف الأول وفي وزن مشيل فوكو... من الذي يذكر الآن أسماء ملوك ألمانيا أيام كانط وهيجل؟_ ماعدا بسمارك بالطبع_ من الذي يذكر اسم ملك بريطانيا لما حل بها ماركس ضيفا فقيرا حتى مات.. من الذي يعرف اسم رئيس فرنسا عندما أصدر ساتر كتابه الوجود والعدم.. من الذي يعرف أسماء خلفاء العرب عندما كان التوحيدي يكتب مؤلفاته والمعري ينظم لزومياته ويدبج رسائل غفرانه؟؟.. لا أحد.. تسقط في العدم إذا جمهوريات السياسة، وتبقى جمهورية الفكر" (صالح، فيلسوف القاعة الثامنة، 1984، صفحة 10).

4. خاتمة:

لقد عرفت مفاهيم فوكو تطبيقات مختلفة في التراث والحداثة، والحاضر والمعرفة والسلطة والعقل والنقد، فقد وجدنا عند آركون مفاهيم مثل: نظام الخطاب والسلطة والعقل والمفكر فيه، واللامفكر فيه والمستحيل التفكير فيه، وذلك في مشروعه لنقد العقل الإسلامي، وعند إدوارد سعيد في مسألة المثقف والسلطة، وعند التريكي مفهوما كاملا للفلسفة باعتبارها تشخيصا للواقع في إطار تأسيسه للفلسفة الشريدة، وعند مطاع صفدي مسألة الآخر ونقد

الحداثة الغربية، وعند الجابري مفاهيم مثل الخطاب والإبستيمية في إطار مشروع نقد العقل العربي، كما أبدا به هاشم صالح إعجابا منقطع النظير، وما يؤكد ذلك مقالته في مجلة الكرمل المعنونة بـ"فيلسوف القاعة الثامنة".

ففلسفة فوكو خرجت من القارة الأوربية وكان لها حضور واسع سواء في أمريكا أو أوربا أو الوطن العربي، واتساع استخدامها راجع إلى اتساع مجالات اشتغال فوكو، فقد كانت بدايته الفلسفية بالجنون، لكنه لم يتوقف عنده، حيث درس جميع الظواهر البشرية بما في ذلك الانضباط والعقاب والجنس والأخلاق، وكذا العلاقات الاجتماعية المختلفة التي حضنت تلك الظواهر، وهو ما يؤكد أن فوكو هو فيلسوف متعدد الأقنعة، وذو تأثير بالغ على جميع المفكرين الذين عاصروه والذين جاءوا بعده.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

الزواوي بغورة. (2001). ميشيل فوكو في الفكر العربي المعاصر (الإصدار ط1). لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الزواوي بغورة. (2013). مدخل إلى فلسفة ميشيل فوكو. (ط1، المحرر) بيروت، لبنان: دار الطليعة.

جياني غاتيمو. (1998). نهاية الحداثة. (فاطمة الجيوش، المترجمون) دمشق، سوريا: منشورات وزارة الثقافة.

جيرار ديلودال. (2009). الفلسفة الأمريكية (الإصدار ط1). (جورج كتورة، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

جيل دولوز. (1993). نيتشه والفلسفة. ط1. (أسامة الحاج، المترجمون) بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

عبد العزيز العيادي. (1994). ميشيل فوكو المعرفة والسلطة. (ط1، المحرر) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

فريديريك نيتشه. (1981). أصل الأخلاق وفصلها. (حسين القبيسي، المترجمون) بيروت ، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

فوكو. (2006). تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

مجموعة من المؤلفين. (2004). مسارات فلسفية. (محمد ميلاد، المترجمون) اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

مجموعة من المؤلفين. (2009). التحليل الثقافي. القاهرة، القاهرة: دار الأسرة.

محمد المزوغي. (2010). فوكو والجنون الغربي. ط1. تونس: منشورات كارم الشريف.

محمد جديدي. (2010). مابعد الفلسفة -مطارحات رورتية- (الإصدار ط1). الجزائر، بيروت، الجزائر، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف.

محمد علي الكردي. (1992). نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو. 08. (دار المعرفة الجامعية، المحرر) الإسكندرية.

محمد علي الكردي. (1998). وجوه وقضايا فلسفية (الإصدار ط1). بيروت، الإسكندرية، لبنان، مصر: دار المستقبل، مكتبة المعارف.

ميشيل فوكو. (1987). حفريات المعرفة. 274. (ط2، المحرر) بيروت، الدار البيضاء، لبنان، المغرب: المركز الثقافي العربي.

ميشيل فوكو. (1990). إرادة المعرفة. (جورج أبي صالح، المترجمون) بيروت: مركز الإنماء القومي.

ميشيل فوكو. (1991). استعمال اللذات. (جورج أبي صالح، المترجمون) بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي.

ميشيل فوكو. (2006). تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

ميشيل فوكو. (2006). تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي. الدار البيضاء، المغرب.

ميشيل فوكو. (2012). أقوال وكتابات (الإصدار ط1). (البكاوي ولد عبد المالك، المترجمون) لبنان: جداول للنشر والتوزيع.

- **الأطروحات:**

مصطفى كيحل. (2008). الأنسنة والتأويل في فكر آركون، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر. قسنطينة، الجزائر.

- **المقالات:**

مخلوف البشير. (2012). قراءة في فكر آركون. الحوار الثقافي، صفحة 09، 10.

هاشم صالح. (1984). فيلسوف القاعة الثامنة. مجلة الكرمل، صفحة 13.

هاشم صالح. (13 جوان, 2003). مجنون يحاكم العقل الغربي. 8993. جريد العرب الدولية الشرق الأوسط.

- **مو اقع الانترنيت:**

مناظرة ميشيل فوكو ونعوم تشومسكي: الطبيعة البشرية -العدالة ضد السلطة- عرضت في التلفزيون الهولندي سنة 1971، https://www.youtube.com/watch?v=YcYOuffbQ8c

مصطفى العريضة (بلا تاريخ) دولوز قارئا لفوكو http://www.sudaress.com/hurriyat/53265.

تم الاسترداد من http://www.sudaress.com/hurriyat/53265.